

ندوات إذاعية - إذاعة دار الفتوى - الإعجاز العلمي - الحلقة ١٢ - ٣٠ : البرزخ - الحجر المحجور .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٣-١١-٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

المذيع :

بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . في القرآن الكريم مئات الآيات الكريمة التي تتعلق بعلم الكون ، والفلك ، والإنسان ، والبحار ، والأرض ، منها ما كشف العلم عنها ، وعن مضامينها ، ومنها ما لم يكشف بعد ، ويستطيع الباحث أن يستخلص من هذه الآيات بعد درسيها بصورة منهجية ، وعلى ضوء ما ثبت من العلوم الفلكية والكونية والأرضية الخطوط الرئيسة لهذا العلم الأخاذ ، الذي يعطينا فكرة علمية عن قدرة المولى وعظمته سبحانه وتعالى .

معنا في هذه الحلقات من يحدثنا عن عظمة الخالق من خلال مخلوقاته ، معنا فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، الأستاذ المحاضر في كلية التربية بجامعة دمشق ، خطيب ومدرس ديني في جوامع دمشق ، أهلاً وسهلاً بفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي .

هناك كلمة في القرآن الكريم (البرزخ) ، نتمنى من فضيلتكم أن نتعلم من خلال هذه الكلمة معناها ، ودقة التفصيل في هذه الآية الكريمة :

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾

[سورة الرحمن: ١٩-٢٠]

تطابق كلام الله عز وجل مع خلقه :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

أستاذ عبد الحليم - جزاك الله خيراً - لا بد من مقدمة تلقي ضوءاً على هذا البحث ، وهي أن النبي عليه الصلاة والسلام أرسله الله لكل الشعوب ، للعالمين كافة ، لذلك ينبغي أن تكون معجزته مستمرة ، ذلك لأن الأقسام السابقين كان لكل قوم نبي قد بعث إليهم ، قال تعالى :

﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾

[سورة الرعد: ٧]

وكانت المعجزات السابقة حسية ، بمعنى أنها وقعت ، ولن تقع ثانية ، أصبحت خبراً يصدقه من يصدقه ، ويكذبه من يكذبه ، ولكن معجزة النبي صلى الله عليه وسلم كانت معجزة علمية ، ففي هذا القرآن الكريم آيات تزيد على ألف وثلاثمئة آية تتحدث عن الأكوان، وخلق الإنسان ، والأسماك ، والأطيوار ، وبقية المخلوقات ، هذه الآيات باجتهاد من النبي لم يشرحها ، وقد قلت سابقاً : إنه لو شرحها شرحاً مقتضياً مبسطاً ليفهمها من حوله لأنكرنا نحن عليه ، ولو شرحت شرحاً مفصلاً يلبي حاجتنا للدقائق والتفصيلات لأنكر من حوله ذلك ، تركت هذه الآيات من دون شرح ليكون لكل عصر دور في شرح هذه الآيات ، ويتوافق هذا العمل الذي جاء من طرف آخر ليوضح ما جاء في القرآن دون أن يشعر ، كي يتوافق مع قوله تعالى :

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾

[سورة فصلت الآية : ٥٣]

الطرف الذي يكتشف هذه الحقائق ليس المسلمين ، ولكنه طرف آخر ، قد لا يعتقد بأحقية هذا الكتاب الكريم ، وهذا دقيق جداً ، لأن المسلمين لو أتوا بهذه الحقائق لاتهموا أنهم دبروها تدبيراً ، أما حينما يأتي طرف لا يعبأ بنبي ، ولا بكتابه الكريم ، ويأتي بحقيقة ناصعة تتوافق توافقاً تاماً مع ما في القرآن الكريم لاتضح أن الخالق واحد ، هذا خلقه ، وهذا كلامه ، فكلامه يتطابق مع خلقه .

البرزخ بين البحرين :

الآية التي ذكرت هذه الظاهرة والتي تفضلت بها هي قوله تعالى :

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

[سورة الرحمن: ١٩-٢١]

أي إن هذا البحر مضطرب ، فيه أمواج ، وحركة دائبة ، ولهذه الحركة مزية كبيرة في بقاء مياه البحر بعيدة عن أن تكون مياه أسنة ، فهذا البحر يضطرب ، وقد يلتقي البحرين .

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾

[سورة الرحمن: ١٩]

مثلاً : البحر الأسود يلتقي مع البحر الأبيض في البوسفور ، والبحر الأبيض يلتقي مع البحر الأحمر في قناة السويس ، والبحر الأحمر يلتقي مع البحر العربي في باب المنذب ، والبحر الأبيض يلتقي مع المحيط الأطلسي في مضيق جبل طارق ، هذه أماكن تلتقي فيها البحار ، والمفسرون كما تفضلت هذه الآية لم تكن موضحة في أذهانهم ، أين هذا البرزخ ؟ حينما اكتشفت المركبات الفضائية ، وحينما تمكن الإنسان من أن يصور الأرض من الفضاء اتضح في هذه الصور أن بين كل بحرين خطأ وهمياً ، هو خط تمايز لونين ، فهذه منطلق الفكرة لفهم هذه الآية . فبعض علماء البحار نزل إلى باب المنذب ، أو إلى مضيق جبل طارق ، أو إلى قناة السويس ،

فكان هناك خطأً بين كل بحرين ، يمنع تداخل مياه البحرين بعضها في الآخر ، ذلك أن العلماء قاسوا ملوحة كل بحر ، ومكونات كل بحر ، وكثافته ، فإذا هي متباينة، الكثافة والمكونات والملوحة والخصائص ثابتة لا تتبدل حتى عند التقاء مياه البحرين ، اطلعتُ على بحث مفاده أن بعض علماء البحار أتى بكم كبير من قصاصات الورق ، ووضعها في هذا المكان الذي يبدو فيه الحاجز بين البحرين ، فلم تنتقل إلى البحر الآخر ، فاتضح أن بين البحرين برزخاً ، أي حاجزاً موجوداً ، أما طبيعته فلا تزال غامضة .

المذيع :

فضيلة الدكتور ، كلمة البرزخ هل كان لها معنى الحاجز ؟

إشارات في القرآن الكريم لبعض حقائق الكون من دون تفصيلات :

الدكتور راتب :

هي الحاجز ، لكن لم يفهم ما طبيعة هذا الحاجز ، برزخ حاجز بين شيئين ، لكن طبيعته لم تكن واضحة ، الآن علمنا نتائج هذا الحاجز ، لكن طبيعته لا تزال مجهولة ، نحن في العلم قد ندرس الآثار ، أما الكنه فقد لا نعرفه ، الكهرباء لها آثار واضحة جداً ، واستخدمها الإنسان أوسع استخدام ، لو سألت أعلم علماء الأرض في الكهرباء لَمَا أعطاك جواباً شافياً ، ما طبيعة الكهرباء؟ كل شيء فوق طبيعة البشر ، لكن آثاره قضية مقدور عليها ، لكن الآن اتضح أن البرزخ الذي بين البحرين هو الحاجز الذي يفصل مياه كل بحر عن مياه البحر الآخر، فلا تختلط المياه ، ولا سيما في أماكن الاتصال ، بل إن لكل بحر ملوحته وكثافته ومكوناته وخصائصه ، الأمر الذي يلقي ضوءاً كاشفاً على إعجاز هذه الآية العلمي ، فالقرآن الكريم فيه إشارات لبعض حقائق الكون من دون تفصيلات ، لئلا يصبح الكتاب كتاب علم ، وهو كتاب هداية ، لكن من أجل أن نتيقن أن الذي أبدع الأكوان هو الذي أنزل القرآن تأتي هذه الآيات العلمية فيها إشارات لطيفة إلى حقائق لم يتم اكتشافها حين نزول القرآن ، ولكنها بعد حين من الزمن أصبحت واضحة جلية .

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾

[سورة الرحمن: ١٩-٢٠]

لا تبغي مياه بحر على مياه بحر آخر ، بفضل هذا البرزخ الذي وجد بين البحرين لا يختلطان ، طبعاً هذا من باب الاستعارة ، في سورة الكهف قال تعالى :

﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُونَ أَنْ يَنْقُضُوهُ فَاقَامَهُ ﴾

[سورة الكهف: ٧٧]

أعطى هذا الجدار صفة الإنسان ، أو شبه به ، وحذف المشبه به ، وبقيت بعض لوازمه ، وهي الإرادة فقال :

﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ ﴾

[سورة الكهف: ٧٧]

هذا في البلاغة اسمه الاستعارة ، أنت حينما تقول :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل تميمة لا تنفع

أنشبت أظفارها ، شبهت المنية بوحش ، وحذف الوحش ، وبقيت بعض لوازمه ، وهو إنشابت الأظفار ، هذه استعارة يسميها علماء البلاغة مكنية ، أما الاستعارة التصريحية فشيء لطيف ، قال بعض الشعراء يصف بنتاً صغيرة تبكي :

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد

أمطرت دموعاً كاللؤلؤ على خد كالورد ، فأمطرت لؤلؤاً من نرجس ، من عيون كالنرجس ، وعضت على الأصابع كالعناب بأسنان كالبرد ، هذه استعارة تصريحية ، والمكنية كما قال تعالى:

﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ ﴾

[سورة الكهف: ٧٧]

هنا شبه البحر بعدو يبغي على خصمه ، فقال تعالى :

﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾

[سورة الرحمن: ٢٠]

والحقيقة أن قواعد البلاغة شيء رائع جداً ، وربما ألفت ضوءاً كاشفاً على حقيقة إعجاز القرآن الكريم :

﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

[سورة الرحمن: ٢٠-٢١]

الله يخاطب الإنس والجن .

الفرق بين البرزخ و الحجر المحجور :

هناك آية ثانية في هذا الموضوع ، قال تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴾

[سورة الفرقان: ٥٣]

البرزخ بين البحرين ، أما الحجر المحجور فبين البحر والنهر .

أستاذ عبد الحليم ، يوجد ينابيع في البحرين ، يركب الإنسان قارباً ليصل إلى نبع في البحر ، وفي الساحل السوري ينابيع كثيرة في وسط البحر ، وهذا أيضاً من إعجاز القرآن الكريم ، فالمياه العذبة لا تختلط بالمياه المالحة ، يتضح هذا واضحاً جلياً في مصبات الأنهار ، نهر كالأمازون

الذي كثافته ثلاثمئة ألف متر مكعب في الثانية قد يمشي في البحر خمسين إلى ستين إلى ثمانين كيلو متراً ، وتبقى المياه عذبة ، لذلك أكبر تجمع لصيد السمك في البحار هو مصبات الأنهار ، لأن مياه الأنهار عذبة ، ومياه البحار مالحة ، وبينهما حجر محجور ، يمنع اختلاط المياه العذبة بالمالحة .

لذلك أسماك المياه العذبة تبقى في المياه العذبة ، ولا تنتقل إلى المياه المالحة ، أكبر تجمع صيد السمك في مصبات الأنهار ، وهذا معنى قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجوراً ﴾

[سورة الفرقان: ٥٣]

الإنسان حينما يركب البحر ، وتغرق السفينة ، ويستقل قارب نجاة قد يموت عطشاً كما قال الشاعر :

كالعيس في الصحراء يقتلها الظمأ والماء من فوق ظهورها محمول

إنسان يركب البحر يموت عطشاً .

المذيع :

فضيلة الدكتور ، إن أردنا أن نفسر بعض الكلمات في هذه الآية الكريمة :

﴿ عَذْبٌ فُرَاتٌ ﴾

﴿ وَحِجْراً مَحْجوراً ﴾

تفسير كلمات العذب الفرات و الحجر المحجور :

الدكتور راتب :

العذب الفرات الماء المستساغ ، الماء العذب الطيب الذي تستسيغه النفس البشرية، ملح أجاج الذي يمجّ ، لا يحتمل ، يتقيؤه الإنسان ، لا يستساغ ، عذب فرات يستساغ .
بقي شيء ؛ أن هذا الذي اكتشف هذه الحقيقة ظن أنه بلغ الثريا ، فلما أنبأ أن في القرآن الكريم آية تشير إلى ذلك لم يصدق ، وفي بعض المقالات لعله أسلم ، هو كشف أن بين البحرين حاجزاً ، بينهما حجر محجور ، العذب والفرات ، ثم ظن أنه كان الأول في هذا الكشف العلمي ، فإذا في القرآن الكريم آية تشير إلى أن القرآن جاء بهذه الحقيقة قبل ألف وأربعمئة عام، فهناك من يقول : إنه أعلن إسلامه .

المذيع :

إذا كنا في هذه الحلقة مع فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، وفسرنا الآية الأولى :

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴾

[سورة الرحمن: ١٩-٢١]

والآية الأخرى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً

مَحْجُوراً ﴾

[سورة الفرقان: ٥٣]

أيها الأخوة والأخوات ؛ آيات فيها إعجاز كبير ، تدلنا على قدرة الخالق ، وعلى أن هذا هو كتاب الله ، وعلى أن هذا هو القرآن الكريم ، الذي أتى وحياً للنبي صلى الله عليه وسلم .
طبعاً نشكر فضيلة الدكتور في هذه الحلقة ، وإلى حلقة قادمة ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

والحمد لله رب العالمين